٢٣ أدبا في المجالسة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

فهذه عدة آداب في مجالسة الناس وضوابطها أسأل الله أن ينفع بها.

- قال عمر بن الخطّاب ﵁: فَحَسْبُ المرْءِ مِنَ العيّ أن يُؤذي جَلِيسَهُ بما لا يعنيه أن يجد على النّاس فيما تأتيه، وأن يظهر له من النّاس ما يخفى عليه من نفسه.
- وعن عمر ﵁ قال: إن مما يُصفّي وداد أخيك، أن تبدأه بالسّلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحبّ الأسماءِ إليه، وأن توسّع له في المجلس.
- ورَوَى سُفيانُ بنُ عُيَيْنة، عن مالك بن معن، قال: قال عيسى صلى الله عليه وسلّم: جالسوا من تذكركم بالله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغّبكم في الآخرة عمله.
- وقال المدائني: أوصى يحيى بن خالد ابنه، فقال: يا بنيّ إذا حدّثك جليسك حديثاً، فأقبل عليه وأصغ إليه، ولا

تقل قد سمعته وإن كنت أحفظ له، وكأنك لم تسمعه إلاّ منه، فإنّ ذلك يكسبك المحبة والميل إليك.

- وعن عبد الملك بن عمير، قال: قال سعيد بن العاص: **«لجليسي عليّ ثلاث خصال: إذا دنا رحّبت به، وإذا جلس وسّعت له وإذا حَدَّث أقبلتُ عليه».**
- وذكر ابن مقسم، قال:سمعت المبرِّد يقول: الاستماع بالعين، فإذا رأيتَ عينَ مَن تحدّثُه ناظرةً إليك فاعلم أنه يحسن الاستماع وقد رُوينا هذا القول عن سهل بن عبادة.
- وقيل:

إذا ما تبدّى لنا طالعاً ... حللنا الحبا وابتدرنا القياما
فلا تُنكِرَنّ قِيامي إليه ... فإنّ الكريم يُجِلُّ الكراما

- وقال عَمْرُو بن العاص ﵁: لا أَمَلُّ جليسي ما فهم عنّي، وإنما الملال لدناءة الرّجال.
- روى الأصمعيّ عن العلاء بن جرير عن أبيه، قال: قال الأحنف بن قيس: لو جلس إليّ مائةٌ لأحببت أن ألتمس رضى كلّ واحدٍ منهم.

- وقال عبد الله بن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أعز الناس عليّ جليسي الذي يتخطّى النّاسَ إليّ، أما والله إنّ الذّباب يقع عليه فيشقّ عليّ .
- و قال آخر:

جليسٌ لي لــــه أدَبٌ ... رِعَايـة مِثْلِهِ تَـجِـبُ
لو انتقـــدتُ خـلائـقـه ... لبهرج عندها الذّهب

- وعنه ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه سُئل: من أكرم الناس عليك؟ قال: جليسي حتّى يفارقني.
- قال معاوية ﵁ لعرابة الأوسي: بأيّ شيءٍ استحققت أن يقول فيك الشّمّاخ:

رأيت عرابة الأوسيّ يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ ... تلقّاها عرابة باليمين

فقال:عرابة: سماع هذا من غيري أولى بك وبي يا أمير المؤمنين، فقال: عزمت عليك لتخبرنّي.

فقال: بإكرامي جليسي، ومحاماتي على صديقي.

فقال معاوية: لقد استحققت.

- قال عليّ بن الحسين: ما جلس إليّ أحدٌ قط، إلاّ عرفت له فضله حتى يقوم.
- وقال أبو عبادة: ما جلس رجل بين يديّ، إلا مثّل لي أني جالس بين يديه.
- روي عن عبد الله بن يزيد، وقد روى ذلك لأبي حازم، أنه قال: وطّن نفسك على الجليس السوء، فإنه لا يكاد يخطئك !. وقد روى ذلك عن الأحنف، والله أعلم.
- قال بعض الحكماء: رجلان ظالمان يأخذان غير حقّهما، رجلٌ وسّع له في مجلس ضيّق فتربّع وتفتح، ورجلٌ أهديت إليه نصيحةٌ فجعلها ذنباً.
- وقال مسعر بن كدام: رحم الله من أهدى إليّ عيوبي في ستر بيني وبينه، فإن النصيحة في الملأ تقريع.
- كان يقال: إياك وكلُّ جليسٍ لا تصيب منه خيراً.
- وعن معاذ بن جبل، أنه قال: إيّاك وكلّ جليسٍ لا يفيدك علماً.
- وقال الحسن البصريّ: انتقوا الإخوان، والأصحاب، والمجالس.
- وكان يقال: الجليس الصّالح خير من الوحدة، والوحدة خيرٌ من الجليس السّوء.

- وعن جعفر بن سليمان الضّبعيّ، قال: رأيت مع مالك بن دينار كلباً، فقلت له: ما هذا؟ قال هذا خيرٌ من الجليس السوء !.
- قال ابن شبرمة لابنه: يا بنيّ! إياك وطول المجالسة، فإنّ الأسد إنما يجترىء عليها من أدام النظر إليها.

وهذا عندي مأخوذٌ من قول أردشير لابنه: يابنيّ لا تمكّن الناس من نفسك فإن أجرأ النّاس على السّباع، أكثرهم لها معاينة.

ومن هذا – والله أعلم – أخذ ابن المعتزّ قوله:

رأيت حياة المرء ترخص قدره ... فإن مات أغلته المنايا الطّوائح
كما يخلق الثّوب الجديد ابتذاله ... كذا تخلق المرء العيون اللّوامح

انتقاها من كتاب «**بهجة المجالس وأنس المجالس**»

للحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أبو أسامة سمير الجزائري

المطويات الدعوية (٥٨)
مطويات الأدب (١١)



إعداد:

أبي أسامة سمير الجزائري